مجلة القنطار للعلوم الإنسانية والتطبيقية

سلسلة الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن

# ترجمة العلامة أبي نصر ابن الصباغ

الدكتور: مامادو كونتي المومنغاوي

تاريخ التقديم 2025/2/15- تاريخ القبول 2025/3/25 - تاريخ النشر 2025/3/30

الملخص: تتناول هذه الدراسة جانباً من حياة الإمام أبي نصر عبد السيد بن محمد، المعروف بابن الصباغ الشافعي (ت 477هـ)، أحد أبرز فقهاء الشافعية في بغداد خلال القرن الخامس الهجري. يستعرض البحث اسمه ونسبه وألقابه المتعددة مثل "صاحب الشامل" و"فقيه العراق"، وكنيته الشهيرة "ابن الصباغ" وسببها. كما يتطرق إلى مولده ونشأته العلمية في بغداد التي كانت مركزاً للحركة العلمية آنذاك، مبيناً مراحل تعلمه داخل أسرته العلمية وخارجها على يد كبار علماء عصره .ويسلط الضوء على البيئة السياسية المضطربة في عصره، التي شملت صراعات بين العباسيين والسلاجقة، ونزاعات دينية بين الشيعة والسنة، وبين الأشاعرة وأهل السنة، مع إبراز الازدهار العلمي والثقافي الذي شهده العصر السلجوقي رغم ذلك. بالإضافة إلى ذلك، يعرض البحث لأبرز شيوخه وتلاميذه الذين كان لهم شأن كبير، ومكانته العلمية الرفيعة التي جعلته يُقدم أحياناً على معاصره الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في معرفة المذهب، وأهم مؤلفاته مثل "الشامل "و"الكامل". ويختم بذكر وفاته وثناء العلماء الأجلاء عليه، مما يؤكد مكانته كإمام مجتهد وفقيه محقق..

**الكلمات المفتاحية** :ابن الصباغ، أبو نصر الشافعي، الفقه الشافعي، تراجم الفقهاء، بغداد، القرن الخامس الهجري، الشامل، النووي، المجموع

**Abstract:**This study explores aspects of the life of Imam Abu Nasr Abd al-Sayyid ibn Muhammad, known as Ibn al-Sabbagh al-Shafi'i (d. 477 AH/1084 CE), a prominent Shafi'i jurist in Baghdad during the 5th century AH (11th century CE). The research examines his name, lineage, various titles such as "Sahib al-Shamil" (Author of al-Shamil) and "Faqih al-Iraq" (Jurist of Iraq), and his well-known kunya "Ibn al-Sabbagh" (Son of the Dyer) along with its origin. It also covers his birth and scholarly upbringing in Baghdad, a vibrant center of learning at the time, detailing his educational stages within his scholarly family and externally under leading scholars of his era. The study sheds light on the turbulent political environment of his time, including conflicts between the Abbasids and Seljuks, and religious disputes between Shi'a and Sunnis, as well as between Ash'aris and Ahl al-Sunnah, while highlighting the concurrent scientific and cultural flourishing during the Seljuk period. Furthermore, the research presents his most notable teachers and students who achieved significant stature, his esteemed scholarly position which sometimes led to him being preferred over his contemporary Sheikh Abu Ishaq al-Shirazi in knowledge of the Shafi'i school, and his major works like "al-Shamil" and "al-Kamil." It concludes with an account of his death and the commendations of eminent scholars, affirming his status as an accomplished jurist and a mujtahid.

**Keywords:** Ibn al-Sabbagh, Abu Nasr al-Shafi'i, Shafi'i Jurisprudence, Biographies of Jurists, Baghdad, 5th Century AH, Al-Shamil, Al-Nawawi, Al-Majmu'.

3/30/2025

**المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته**

**الفرع الأول:** اسمه ونسبه.

هو العلامة "شَيْخُ الشَّافِعِيَّة، أَبُو نَصْرٍ، عَبْدُ السَّيِّدِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَاحِدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ جَعْفَرٍ البَغْدَادِيُّ، الفَقِيْهُ المَعْرُوف بِابْنِ الصَّبَّاغ"[1].

وقال الإمام النووي: هكذا روينا نسبه عن شيخنا أبى البقاء خالد بن يوسف النابلسي حافظ عصره وإمامهم في معرفة أسماء الرجال.[2]

**الفرع الثاني:** لقبه.

لقد تكرر ذكر الإمام ابن الصباغ في مصادر كثيرة بألقاب مختلفة، يمكن جمعها فيما يلي:

1. **صاحب الشامل:** وذلك لسبب تأليفه كتابه المشهور المسمى بالشامل، الذي يعد من المصادر المهمة في الفقه الشافعي. [3]
2. **صاحب الكامل:** وسبب تلقيبه بهذا اللقب: تأليفه كتاب الكامل الذي يعد من أشهر كتبه على الإطلاق، فجعل العلماء يلقبونه بهذا اللقب، للتفريق بينه وبين من يحملون اسم شهرته من الفقهاء. [4]

---

[1] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (المتوفى: 748هـ)، **سير أعلام النبلاء الطبعة**، الناشر: دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م ج 14، ص 14. ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (المتوفى: 774هـ)، **طبقات الشافعيين** تحقيق، د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: 1413 هـ - 1993 م ج 1، ص 464.

ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، (المتوفى: 851هـ) **طبقات الشافعية المحقق**، د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر، عالم الكتب – بيروت، ج 1، ص 251.

[2] النووي: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، (المتوفى: 676هـ)، **تهذيب الأسماء واللغات**، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ج 2، ص 299.

[3] قوام السنة: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، (المتوفى: 535هـ)، **الترغيب والترهيب**، المحقق أيمن بن صالح بن شعبان الناشر، دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م، ج 1، ص 92. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 14. النووي، تهذيب **الأسماء واللغات**، ج2، ص 300.

[4] الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، **تاريخ بغداد** الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة الأولى، 1417 هـ- ج 21، ص 122.

3. **فقيه العراق:** وكان أبو النصر يلقب بهذا اللقب، لأنه كان أعجوبة زمانه وفذ تربة أرضه، فكان يضاهي الشيخ أبا إسحاق الشيرازي[5] في وقته لكنه تقدم عليه في معرفة المذهب الشافعي.[6]

**الفرع الثالث: كنيته.**

إن الحديث في هذا الفرع سينحصر في كنية الإمام، وسبب تكنيته. وذلك

**أولا: كنية الإمام ابن الصباغ**

عند قراءة كتب التراجم والطبقات يتبين للباحث أن ابن الصباغ كان يكنى بكنى عديدة منها ما يأتي:

1. أبو نصر:[7] كان الإمام يكنى في الكتب الفقهية وكتب التراجم بأبي نصر، وسبب ذلك مجهول، لأن كتب التراجم التي تنقل لنا المعلومات العامة عن حياة العلماء والفقهاء، لم يقف الباحث على مصدر واحد منها يثبت تسمية أحد أبنائه بالنصر. ومع ذلك كان يكنى بأبي نصر.[8]
2. ابن الصباغ:[9]وهذه الكنية هي المشهورة من بين كنى الفقيه. رغم وجود كثير من الفقهاء يلقبون أو يكنون بهذه الكنية مثل أبو قاسم [10] وغيره.

**ثانيا: سبب تكنيته بابن الصباغ.**

---

[5] إبراهيم بن عليّ بن يوسف، الشّيخ أبو إسحاق الشّيرازيّ الفيروزابادي، شيخ الشّافعيّة في زمانه، كان يلقب به . ولد سنة ثلاثٍ وتسعين وثلاثمائة وتوفي [: 476 هـ] الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهيروَالأعلام**، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003 م، ج 10، ص 383.

[6] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 18، ص 464.

[7] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد** ج 21، ص 122. النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2، ص 299. ابن كثير، طبقات الشافعيين، ج1، ص 464.

[8] العصيمي: فيصل بن سعد العصيمي، **الشامل في فروع الشافعية لابن الصباغ، من أول كتاب الجنائز إلى بداية باب صيام التطوع والخروج منه قبل إتمامه، (دراسة وتحقيقا)** المشرف أ .د عبد الله بن فهد الشريف، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الشريعة، قسم فقه المقارن، المملكة العربية السعودية، ج 1، ص 27.

[9] السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، (المتوفى: 771هـ) **طبقات الشافعية الكبرى**، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1413هـ، م ج 5، ص 123. الخطيب البغدادي **تاريخ بغداد** ج 21، ص 122. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، ج 2، ص 299.

[10] علي بن عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد وهو ابن الشيخ أبي نصر بن الصباغ العلامة الفقيه، العالم، المسند، العدل. توفي سنة 542. **الذهبي، سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 15.

إن أبا النصر كان يكنى بكنية ابن الصباغ، لأن بعض أجداده كان صباغا.[11]

والصباغ: من الصبغ بكسر الصاد وإسكان الباء، أو الصباغ: بكسر الصاد وفتح الباب مع تخفيفه والإشباع. وهو يأتي في اللغة العربية على معان كثيرة. منها:

- ما يصطبغ في الأطعمة ونحوها أي يؤتدم. قال الله تعالى في القرآن الكريم {وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ} [المؤمنون: 20 يعني: دهنه.[12]
- صبغة الله: أي ملة الله وشريعته. يعني الملة التي يمل بها والمسلمون[13]يدينون بها لقوله تعالى. (صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) البقرة: ١٣٨
- ما تلون به الثياب ونحوها. وهذا المعنى الأخير هو المعنى المقصود حيث كان أحد أجداده يعمل هذا العمل.[14]

**المبحث الثاني: مولده، ونشأته، وتعلمه.**

**الفرع الأول:** مولد ابن الصباغ، ونشأته.

ولد ابن الصباغ سنة 400 هـ (أربع مائة للهجرة)[15] في بغداد، وكانت بغداد في ذلك الوقت قد ازدهر فيها جميع الحركات العلمية، في شتى مجالات العلم، وحفلت بالعلماء في شتى مجالات العلوم، والفنون. وفي هذا الجو العلمي الواسع نشأ العلامة ابن الصباغ، وترعرع بين أعلام بارعين في مختلف الفنون، بالإضافة إلى أن أباه كان عالما من علماء عصره، فتربى

---

[11]ابن الصباغ، **الشامل في فروع الشافعية لابن الصباغ، من أول كتاب الجنائز إلى بداية باب صيام التطوع والخروج منه قبل إتمامه، (دراسة وتحقيقا)** ج 1ص 26. وهذا من كلام محقق الكتاب.

[12] الخليل الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (المتوفى: 170هـ)، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج 4، ص 374.

[13] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار( الناشر: دار الدعوة، ج 1، ص 506.

[14]الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (المتوفى: 1205هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج 22، ص 523. والفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، (المتوفى: نحو 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ج 1، ص 332.

[15] الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ج 10، ص 409. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، (المتوفى: 681هـ) **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان** المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت. الطبعة الأولى، 1994هـ ج 3، ص 218. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج 18، ص 464. **السبكي، طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 123.

في بيت علم وبيئة علمية، فكان تأثير هذه الظروف العلمية عليه بالغ في نبوغه ورسوخه في العلوم الدينية، وتكوين شخصيته العلمية. فسلك مسلك أبيه حتى أصبح عالما من بعده فجاوزه، رحمهما الله تعالى.

كان بيت الإمام ابن الصباغ بيت علم، حيث كان أبوه عالما، وابن أخيه، وابن عمه.[16]

فعاش ابن الصباغ في كنف والده وقد كان أبوه في حياته عالما كبيرا وفقيها فذا، فلقن ابنه العلوم الأولية التي كان يتلقاها كل صبي في ذلك العصر، من حفظ القرآن الكريم كذا حفظ شيء من السنة النبوية المطهرة الصحيحة، ثم دراسة الفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية.

وحينما شعر ابن الصباغ بإتقانه للعلوم والفنون التي رعاه بها والده وتلقاها من أسرته العلمية شعر بتأهله للتلقي والاستفادة من مشايخ بلده وعلماء عصره فتتلمذ على يد كثير منهم.[17]

**الفرع الثاني: تعلم ابن الصباغ.**

كان ابن الصباغ في حياته من العلماء الذي حظوا نصيبا وافرا في طلب العلم. حيث بدأ العلامة ابن الصباغ طلب العلم منذ نعومة أظفاره، إلى أن لقي ربه سبحانه وتعالى.

وعلى ذلك فإن ابن الصباغ قد مر بثلاث مراحل في حياته العلمية، ويمكن تفصيل القول في هذه المراحل الثلاث من خلال النقاط التالية:

**المرحلة الأولى: تعلم ابن الصباغ وقت صباه داخل البيت.**

لقد بدأ بن الصباغ حياته العلمية منذ صغر سنه، ونعومة أظفاره حيث كانت أسرته أسرة علمية معروفة، كما سبق أن بينا ذلك سابقا، حيث كان أبوه عالما جليلا في العلوم الشرعية، والفنون اللغوية. فاقترب منه العلامة ابن الصباغ لينهل بعضا من بحر علمه الغزير. فكان أول ما استفاد من أبيه رحمه الله تعالى حفظ كتاب الله العزيز (القرآن الكريم) ثم لقنه والده العلوم التي يتلقاها كل صبي في ذلك العصر. من حفظ شيء من السنة النبوية المطهرة، وبعض المتون العلمية. مع دراسة علم الفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية وفنونها.[18]

**المرحلة الثانية: تعلم ابن الصباغ خارج البيت.**

[16] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 18، ص 465. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 124.

[17] ابن الصباغ، **الشامل في فروع الشافعية**، ج 1 ص 28. وهو من كلام المحقق

[18] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 290. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 124.

لقد تعلم ابن الصباغ في حياته خارج البيت، (على يد العلماء الأجلاء الفضلاء في بلده) وكان ذلك هو المرحلة الثانية في مسيرة حياته العلمية. بعد أن تعلم في بيته مع أسرته العلوم الأساسية الأولية، التي كانت تتلقى عادة في ذلك العصر من الآباء والأمهات وأفراد الأسرة.

**المرحلة الثالثة:** فبعد أن تلقى هذه العلوم النافعة الماتعة، وبلغ من العمر أشده، وصار أنيق مرحلة الفتوة خرج إلى الأعلام المشهورين الأجلاء في بلاده الذين سنذكر أسماءهم في المباحث القادمة إن شاء الله، فتلقى منهم العلوم والفنون الدينية الإسلامية واللغوية. حتى أصبح في حياته فريد عصره، ووحيد زمانه، يشار إليه بالبنان في العلوم الدينية واللغوية، تضرب إليه أكباد الإبل من البلدان والأمصار لتلقي العلوم. [19]

**المبحث الثالث: البيئة والظروف التي عاش فيها.**

ولد ابن الصباغ سنة أربع مائة من الهجرة النبوية الشريفة، وكان هذا العام يوافق عصر خلافة الخليفة القادر بالله[20] هذا العصر الذي يتوسم بالتقدم العلمي والازدهار المعرفي، حتى إن عصره كان ينعت بعصر الازدهار المعرفي من كثرة العلماء الأجلاء فيه.[21]

ومع ذلك كان في هذا العصر خلافات كثيرة ونزاعات مستمرة داخل الدولة العباسية، حيث كان الاختلاط فيه بين السلاجقة والعرب بشكل كبير، وواضح [22].

**الفرع الأول: البيئة والظروف السياسية. وذلك فيما يأتي**

**أولا: الوضع السياسي بين العباسيين والسلاجقة.**

---

[19] جمال الدين: أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموي القريشي الإسنوي المتوفى سنة 772 هـ **طبقات الشافعية** تحقيق كمال يوسف الجوت مركز الخدمات والأبحاث الثقافية دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة 1 ج 2 ص 131. ابن الصباغ **الشامل في فروع الشافعية** اج 1 ص 281.

[20] القادر بالله: هو الخليفة أبو العباس أحمد ابن الأمير إسحاق بن المقتدر جعفر بن المعتضد العباسي، البغدادي. ولد سنة (ست وثلاثين وثلاث مائة)، كان ديناً تقيا عالماً متعبداً كثير التهجد والصدقات على صفة، اشتهرت عنه، من جُلَّة الخلفاء العباسيين مثلهم، وفي ذي الحجة من سنة اثنتين وعشرين وأربع مائة، مات القادر بالله في أول أيام التشريق. وصلى على روحه ابنه القائم بأمر الله، ودفن في الدار، ثم بعد عشرة أشهر نقل تابوته إلى الرصافة، وعاش سبعا وثمانين سنة سوى شهر وثمانية أيام وما علمت أحدا من خلفاء هذه الأمة بلغ هذا السن، حتى ولا عثمان، -رضي الله عنه. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 11، ص 147.

[21] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 44. ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 22. وهو من كلام المحقق.

[22] ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، البداية **والنهاية** المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى 1408، هـ - 1988 مج 12، ص 43.

ولد ابن الصباغ في وقت كانت الدولة العباسية الثانية تمر فيه بمراحل الضعف والتدهور الكبير، حيث كانت الفتن والحروب كثيرة جدا بين الشعوب، والجماعات وأصحاب النفوذ، في ذلك العصر.[23]

لذلك فإن الخلفاء العباسيين قاموا بالاستعانة بالفرس في تكوين دولتهم، وزيادة نفوذهم. فلما زاد نفوذهم، وحققوا للعباسيين مهمتهم، استعانوا عليهم بالأتراك، ليساعدوهم على طردهم ولما عظم شأنهم، ولاحظوا صعوبة طردهم، استعانوا عليهم ببني بوية[24]، وكانت هذه سياسة سائدة لدى الدولة العباسية، في الاستنجاد بالغير على من يطغى على ملكهم وخلافتهم في ذلك الوقت، وقد سعى بنو بوية لإضعاف الدولة العباسية، إذ كان بنو بويه هم المسيطرون على الخلافة إلى عام سبعة وأربعين وأربعمائة.[25]

لهذا قام العباسيون بالاستعانة بالسلاجقة[26] للتخلص من البويهيين فكانت نهايتهم على يد السلاجقة[27]

أما عن السلاجقة فقد بدأ ملكهم سنة تسع وعشرين، عندما استولى طغرلبك[28] على نيسابور، حتى دخل بلاد خراسان، وملكها، واستولى على أكثر البلاد الشرقية وعظم شأن السلاجقة، وارتفع شأن ملك السلاجقة ولقب بملك الدولة وخطب

---

[23] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 44.

[24] ظهر البويهيون في أوائل القرن الرابع الهجري، وقال بعض المؤرخين أنهم ينسبون إلى بهرام جور أحد ملوك ساسان، وذكر البعض أنهم لا ينتسبون إلى بهرام، بل إلى
كبير وزرائه مهرنرسي وذكر البعض أنهم ينتسبون إلى بويه، زعيم فارسي من إقليم
الديلم في جنوب غرب بحر قزوين، وقد كانوا في مرتبة الأجناد ثم ارتقوا إلى درجة
عظيمة من الملك والاستبداد بالسلطة دون الخلفاء حتى خضعت لهم الرقاب
ودانت لهم البلاد وكانت مدة دولتهم من عام ( ٣٣٤ إلى 447 هـ ). العبادي: أحمد مختار العبادي،. **كتاب في التاريخ العباسي والفاطمي**. دار النهضة العربية للطباعة، والنشر بيروت، الطبعة الأولى ج 1، ص 161.

[25] أحمد بن إبراهيم حسن: مدير جامعة أسيوط، وأستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية القاهرة. الطبعة الرابعة 1996 ج 4، ص 7.

[26] ينتسب السلاجقة إلى سلجوق (بفتح السين) بن تقاق (بضم التاء) أحد رؤساء الأتراك، وكانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر في مكان بعيد عن بخارى بعشرين فرسخا، وكان عدد السلاجقة كما يقول ابن خلكان يجل عن الحصر، والإحصاء. لا يدينون بالطاعة لسلطان، وكانوا إذا قصدهم ورأوا أنه لا طاقة لهم به، دخلوا المفاوز وتحصنوا بالرماد فلا يصل إليهم أحد. والسلاجقة نوع من الأتراك الغز، ويتصل نسبهم بالجد الأكبر لسلاطين الأتراك العثمانيين، الذين أسسوا إمبراطوريتهم في آسيا الصغرى، ثم في سوريا، ومصر، والبحر الأبيض المتوسط، وأوربا وشمال أفريقيا عن طريق سلاجقة الروم. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 4، ص 155.

[27] أحمد بن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج 4، ص 7.

[28] أبو طالب: محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب ركن الدين طغرلبك أول ملوك السلاجقة، عاش سبعين عاماً ولم يكن له ولد، وكان بيده خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان ملك بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشرة شهراً. توفي سنة أربعمائة وخمس وخمسين للهجرة. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 489.

له بذلك على المنابر وكان ذلك كله بأمر من الخليفة العباسي القائم بأمر الله،[29]وهذا مما أدى إلى إشعال الخلاف بين العرب والسلاجقة. [30]

**ثانيا: النزاعات الدينة بين الشيعة وأهل السنة.**

ولم يكن النزاع في وقته بين العرب والسلاجقة فحسب، بل كانت نيران الفتنة كذلك مشعلة بين طائفتي الشيعة والسنة أيضا. [31]

ففي صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، وقعت الحرب بين الروافض والسنة، فقتل من الفريقين خلق كثير، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجا وكتبوا عليها بالذهب: محمد وعلي خير البشر، فمن رضي فقد شكر، ومن أبى فقد كفر. فأنكرت السنة مقارنة علي مع محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك، فنشبت الحرب بينهم، واستمر القتال بينهم إلى ربيع الأول، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد، ورجع أهل السنة من دفنه فنهبوا موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح بعض علماء الشيعة، وقبور بني بويه، وقبور من هناك من الوزراء وأحرق قبر جعفر بن المنصور، ومحمد الأمين، وأمه زبيدة، وقبور كثيرة جدا، وانتشرت الفتنة وتجاوزت الحدود، وقد قابلهم الرافضة أيضا بمفاسد كثيرة، ونبشوا قبورا قديمة، وأحرقوا من فيها من الصالحين، حتى هموا بقبر الإمام أحمد بن حنبل، فمنعهم النقيب، وخاف من غائلة ذلك، وتسلط على الرافضة عيار يقال له القطيعي، وكان يتبع رؤوسهم وكبارهم فيقتلهم جهارا وغيلة، وعظمت المحنة بسببه جدا، ولم يقدر عليه أحد، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر. [32]

وبقي الحال هكذا حتى دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وفيها استولى السلطان الملك المظفر تاج الملوك تتش بن ألب أرسلان السلجوقي[33] على دمشق وكان من خيار الملوك سيرة فأزال الرفض عن أهل الشام، وأمر بالترضي على الصحابة أجمعين، فكان هذا نهاية الحرب[34]

**ثالثا: النزاعات الدينية بين الأشاعرة وأهل السنة.**

---

[29] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 55.

[30] أحمد بن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج 4، ص 7.

[31]أحمد بن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج 4، ص 7. ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 18.

[32] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 62.

[33] تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ابن دقاق السلجوقي؛ ولد في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. كان صاحب البلاد الشرقية، ثم استولى على دمشق وذلك في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر الربيع الآخر، ثم استولى بعد ذلك على حلب في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ثم جرى بينه وبين ابن أخيه منافرات ومشاجرات أدت إلى المحاربة، فتوجه إليه وتصافا بالقرب من مدينة الري في يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فقتل في المعركة ذلك النهار. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 1، ص 295.

[34] الذهبي، **سيرأعلام النبلاء**، ج 16، ص 394.

في سنة خمس وأربعين وأربعمائة للهجرة جرت فتنة عظيمة طويلة، بين الأشاعرة[35] وأهل السنة والجماعة: والسبب في ذلك.

أنه نقل إلى الملك طغرلبك[36] أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا، وذكر أشياء من الأمور التي لا تليق بالدين الإسلامي والسنة، فأمر الملك بلعنه، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك، فضج أبو القاسم القشيري[37]من ذلك، وصنف رسالة في شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة، واستدعى السلطان جماعة من رؤوس الأشاعرة منهم القشيري فسألهم عما أنهي إليه من ذلك. فأنكروا ذلك، وأن يكون الأشعري قال ذلك. فقال السلطان: نحن إنما لعنا من يقول هذا. فبذلك أطفأ الله نيران الحرب بينهم. [38]

**الفرع الثاني: البيئة والظروف العلمية.**

مما لا شك فيه أن الفوضى السياسية التي مر بها العصر العباسي الثاني .كما أشرنا إليه في الفرع الأول . كان لها تأثير كبير على جوانب كثيرة في الحياة العلمية، إلا أن استقلال بعض الدول عن الخلافة العباسية، كان له تأثير كبير في نشاط الحركة الفكرية والثقافية. ويظهر هذا جلياً واضحا في العصر السلجوقي وذلك نتيجة اهتمام سلاطينهم بالعلم وأهله. فسوف يسلط الباحث الضوء على نماذج يسيرة من خدمة الملوك السلاجقة للعلم، وأهله. يظهر ذلك فيما يلي:

1) الأموال التي كان ينفقها سلاطين السلاجقة للعلم وأهله. وقصة السلطان ملكشاه[39] مع وزيره خير دليل على ذلك: وذلك أن وزير السلطان ملكشاه كان ينفق في كل سنة على أرباب المدارس والرباطات ثلاث مائة ألف

---

[35] طريقة من طرق في العقيدة الإسلامية، التي ارتبط اسمها بأبي الحسن الأشعري: وهو علي بن إسماعيل الأشعري ينتسب إلى أبي موسى الأشعرية، وهو أحد علماء القرن الثالث، تنتسب إليه الأشعرية، ولد في البصرة سنة 250 هـ وقيل: سنة 270 هـ وقد اعتنق أبو الحسن في أول أمره بالعقيدة الاعتزالية في بداية حياته إلى سن الأربعين ثم تحول عن الاعتزال وتوفى سنة 330 هـ على أحد الأقوال. الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد (المتوفى: 548هـ)، **الملل والنحل**، الناشر: مؤسسة الحلبي. غالب بن علي عواجي فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة الطبعة: الرابعة، 1422 هـ - 2001 م ج 3، ص 1205.

[36] تقدم ترجمته في ص 18

[37] القشيري. بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء: أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيري الفقيه الشافعي؛ كان علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة وعلم التصوف، جمع بين الشريعة والحقيقة. صنف التفسير الكبير، وسماه " التيسير في علم التفسير " وهو من أجود التفاسير، وصنف الرسالة " في رجال الطريقة "، وخرج كذلك إلى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين وجماعة من المشاهير، فسمع معهم الحديث ببغداد والحجاز. توفي ضحوة نهار الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة بنيسابور، ودفن في المشهد المعروف بهم، رحمه الله تعالى. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 205.

[38] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 64.

[39] السلطان الكبير جلال الدولة أبو الفتح ملكشاه ابن السلطان ألب أرسلان محمد بن جغربيك السلجوقي, التركي. ولد في التاسع من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وأربعمائة تملك الدولة بعد أبيه، كان من أحسن الناس صورة ومعنى، خطب له من حدود الصين إلى آخر الشام، ومن

دينار، ولو جيش بها جيشاً لبلغ باب القسطنطينية، فقد استحضر الناظم يوما واستفسره على الحال، فقال: يا سلطان العالم إني أنا رجل شيخ، "ولو نودي علي لما زادت قيميتي على ثلاثة دنانير، وأنت حدث لو نودي عليك ما زادت قيمتك على ثلاثين ديناراً، وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بك ما لم يعطه أحداً من خلقه، أفلا نعوضه عن ذلك في حملة دينه، وحفظة كتابه ثلاثمائة ألف دينار، ثم إنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة ستة أضعاف هذا المال، مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً، ولا يضرب بسيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من الدعاء سهامه إلى العرض، لا يحجبها شيء عن الله تعالى، فبكى السلطان وقال: يا أبت استكثر من الجيش، والأموال مبذولة لك، والدنيا بين يدي"[40] وهذا خير دليل على شدة حبهم للعلم.

2) حبهم الشديد للعلم وحرصهم البالغ للاطلاع والقراءة: لقد كان خلفاء السلاجقة مهتمين بالعلم والمعرفة، يسعون لتوفير جميع الوسائل المتاحة لنشر العلم، وكانوا هم القدوة الحسنة لشعبهم في طلب العلم، ومجالسة العلماء والفقهاء. حتى وجدنا من العلماء مثل ابن كثير يصف الوزير نظام الملك[41] بأنه " قرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة. وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي، وسماع الحديث واللغة والنحو، وكان عالي الهمة، بنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرهما، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والعلماء، بحيث يقضي معهم غالب نهاره، فقيل له: إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح، فقال: هؤلاء جمال الدنيا والآخرة، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثرت ذلك.[42]

ولحرصه على العلم طلب من السلطان ملكشاه أن يكتب له كتابا في السياسة، فألف كتابه المشهور "سياسة نامة" الذي يشير إليه الفردوسي باسم "سير الملك"[43]

ويكفينا النموذجان دليلا على اهتمام الملوك، والسلاطين، والوزراء، بالعلم وأهله أيام ملك السلاجقة.

مملكة الروم إلى اليمن، وقصد حلب، فافتتحها، ودانت له الدنيا. توفي في السادس عشر من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 125.

[40] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 187.

[41] أبو علي: الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب نظام الملك قوام الدين الطوسي؛ كان من أولاد الدهاقين، اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق، والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان، فلما ملك ألب أرسلان بقي في خدمة ولده ألب أرسلان عشر سنين، فلما مات، وازدحم أولاده على الملك وطد المملكة لولده ملكشاه فصار الأمر كله لنظام الملك، وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة. توفي في ليلة الثلاثاء ثاني عشر المحرم من سنة ست وثمانين وأربعمائة، وعمره سبع وأربعون سنة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 128.

[42] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 173.

[43] أحمد بن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي**، ج 4 ص 403

والعجيب أن عصر الفقيه ابن الصباغ وافق عصر ضعف الخلافة العباسية، ومع ذلك فإن عصره يعد من أكثر العصور الإسلامية ازدهاراً في العلم، والفن، والثقافة، والأدب، ولعل العلة في ذلك أن المشتغلين بالعلم من أهل ذلك العصر لم يتأثروا كثيراً بالضعف الذي كان يهيمن على الدولة وقتها؛ بل اندفع كثير منهم نحو العلم، والتعلم، وتفرغوا للعلوم الدينية والمعارف الدنيوية، فشاع العلم بين أفراد المجتمع، وشاعت الرحلة في طلب العلم، ظهر كذلك الأئمة الكبار في مختلف ميادين العلوم والفنون، وكثرت المؤلفات، والمصنفات في شتى العلوم، والمعارف.

ويكفي دليلا على اعتبار عصر العلامة بن الصباغ من أزهى عصور العلم، وأبهى عصور المعرفة خلال مدة الخلافة العباسية، بروز علماء أفذاذ من الأعلام النابهين الراسخين في شتى حقول المعارف، وفي مختلف ميادين الفنون. ومن هؤلاء العلماء

القاضي أبو بكر الباقلاني المتوفى سنة (٤٠٣ هـ) أبو زيد الدبوسي المتوفى سنة (٤٣٠ هـ) وأبو الطيب الطبري المتوفى سنة ( ٤٥٠ هـ) والماوردي المتوفى سنة ( ٤٥٠ هـ) وابن حزم المتوفى سنة ( ٤٥٦ هـ). وغيرهم من العلماء الكبار.

ومما لا شك فيه أن اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء، مع وجود هذا الكم الكبير من العلماء، كان له أثر كبير في النهضة العلمية في هذا العصر عامة، ونبوغ ابن الصباغ وتفوقه العلمي خاصة. [44]

**المبحث الرابع: شيوخه، وأهم طلابه.**

أكثر علماء السير، والتراجم، ذكروا في كتبهم حياة العلامة ابن الصباغ إلا أنهم لم يتطرقوا إلى ذكر جزء من حياته التعليمية، من رحلات ابن الصباغ لطلب العلم. كما أنهم كذلك لم يذكروا لنا شيوخه وأبرز طلابه، كما هو الأمر في ترجمة العلماء، وقد يكون السبب في ذلك في نظري عدم وجود مؤرخ أو مؤلف في التراجم والطبقات من بين طلابه. ومع ذلك فإن محقق كتابه الشامل جمع العديد من الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم ابن الصباغ. كما أنه ذكر بعض طلابه البارزين المشهورين في مختلف العلوم، والفنون. لسعة اطلاعه على تراجم العلماء. وهذا ما سيتناوله الباحث في الفروع التالية.

**الفرع الأول: شيوخ العلامة ابن الصباغ.**

لقد تتلمذ الإمام ابن الصباغ على يد كثير من العلماء والفقهاء ومن أشهرهم:

[44] ابن الصباغ **كتاب الشامل** ج 1، ص 24. وهذا من كلام المحقق.

1) **والده: أبو طاهر محمد بن عبد الواحد بن الصباغ.**[45]هو مفتي الشافعية أبو طاهر؛ محمد بن عبد الواحد بن محمد البغدادي. كان يلقب أيضا بابن الصباغ. سمع أبا حفص بن شاهين [46] والمعافى بن طرارا[47]، وابن حبابة[48]، وغيرهم.

وتفقه على يد الشيخ أبي حامد. وتفقه عليه كذلك ولده أبو نصر؛ صاحب "الشامل." قال الخطيب البغدادي: "كتبنا عنه وكان ثقة له حلقة للفتوى مات في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربع مائة".[49]

2) **شاذان: الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان أبو علي البغدادي ، ويعرف بأبي علي بن شاذان البزار.**

ولد في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للهجرة، بكر به والده إلى الغاية، فأسمعه وله خمس سنين أو نحوها من ميمون بن إسحاق،[50] والخلدي[51]، وخلق كثير. كان ثقة صدوقا، وصوفيا صادقا.

---

[45] ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 3. من كلام المحقق.

[46] ابن شاهين: أبو حفص, عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداذ البغدادي, الشيخ الصدوق الحافظ العالم, شيخ العراق, وصاحب التفسير الكبير, الواعظ,

ولد في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين. وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاث مائة. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 12، ص 403.

[47]طرارا: هو المعافى ابن زكريا بن يحيى بن حميد, العلامة الفقيه, الحافظ القاضي المتفنن, عالم عصره, أبو الفرج النهرواني الجريري, نسبة إلى رأي ابن جرير الطبري, يقال له: ابن طرارا.

قال الخطيب البغدادي: كان من أعلم الناس في وقته بالفقه والنحو واللغة, وأصناف الأدب, ولي القضاء بباب الطاق. مات المعافى بالنهروان في ذي الحجة سنة تسعين وثلاث مائة, وله خمس وثمانون سنة. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 5، ص 222.

[48]أبو القاسم، الشيخ المسند العالم الثقة، عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن سليمان بن حبابة -بالتخفيف- البغدادي, المتوثي, البزاز. ولد سنة ثلاث مائة.وسمع من أبي القاسم البغوي كتابه المعروف بـ"الجعديات. قال الخطيب: كان ثقة, مات في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثلاث مائة, وصلى عليه الإمام أبو حامد الإسفراييني. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 12، ص 476.

[49]الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص15. ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 33. وهذا من كلام المحقق.

[50] ميمون بن إسحاق بن الحسن بن علي بن سليمان بن منصور بن عيسى، أبو محمد الصواف

مولى محمد بن الحنفية. ولد في سنة ستين ومائتين. توفي ميمون بن إسحاق الصواف في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. وقال الحسن بن أحمد بن عبد الله الصوفي: مات أبو محمد ميمون بن إسحاق الصواف في جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 15. 278.

[51] جعفر بن مُحمد بن نصير بن القاسم، أَبُو مُحَمَّد الخواص المعروف بالخلدي: شيخ الصوفية. ولد جَعْفَر الخلدي في سنة اثنتين- أو ثلاث- وخمسين ومائتين. سبب تسميته بالخلدي سئل عنه فقال: كنت يوما عند الجنيد بن مُحَمَّد وعنده جماعة من أصحابه يسألونه عَنْ مسألة فَقَالَ لِي: يا أبا مُحَمَّد أجبهم، قَالَ: فأجبتهم فَقَالَ: يا خلدي من أين لك هذه الأجوبة؟ فجرى اسم الخلدي علي إلى يومي هذا، ووالله ما سكنت الخلد، ولا سكنه أحد من آبائي. توفي جَعْفَر الخلدي يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 8 ص 145.

وكان وفاته في سلخ عام خمسة وعشرين وأربع مائة، ودفن في أول يوم من سنة ست وعشرين. رحمه الله تعالى.[52]

3. **التقي القزويني : هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن الحربي البغدادي، أبو الحسن القزويني المحدث الزاهد.** كان وليا من أولياء الله.

قال عنه الخطيب "كتبنا عنه وكان أحد الزهاد المذكورين ومن عباد الله الصالحين يقرأ القرآن ويروي الحديث ولا يخرج من بيته إلا للصلاة، وكان وافر العقل، صحيح الرأي، رحمة الله عليه قال لي ولدت سنة ستين وثلاثمائة".[53]

كان له مجالس مشهورة. وكان زاهدا عن الدنيا ورعا، حتى إن جميع الناس في عصره أجمعوا مع اختلاف آرائهم وتشعب أنحائهم واختلاف مذاهبهم، على حسن معتقد هذا الشيخ وزهده وورعه.[54]

يروي أبو عبد الله البيضاوي عنه قال: "كان ثقة يتفقه على أيدي الفقهاء وهو حديث السن وكان حسن الطريقة ملازما للصمت قل أن يتكلم فيما لا يعنيه ومضى على ذلك سنون".[55]

مات رحمه الله ليلة الأحد ودفن في منزله بالحربية يوم الأحد لخمس خلون من شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، وصلي عليه في الصحراء بين الحربية والعتابيين، وكان الجمع متوافرا جدا يفوق الإحصاء لم ير جمع في عصره على جنازة أعظم منه. وغلق جميع البلد في ذلك اليوم.[56]

4. **أبو الطيب الطبري: الإمام العلامة شيخ الإسلام القاضي أبو الطيب؛ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري الشافعي فقيه بغداد.**

ولد سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة، بآمل. أحد حملة المذهب ورفعائه.

قال عنه السبكي: "لقد كان إماما جليلا، بحرا غواصا، متسع الدائرة، عظيم العلم، جليل القدر، كبير المحل، تفرد في زمانه، وتوحد، والزمان مشحون بأخدانه، واشتهر اسمه، فملأ الأقطار، وشاع ذكره، فكان أكثر حديث السمار، وطاب ثناؤه، فكان أحسن من مسك الليل، وكافور النهار، والقاضي فوق وصف الواصف، ومدحه وقدره، عنه أخذ العراقيون العلم وحملوا المذهب".[57]

---

[52] الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) **تاريخ بغداد وذيوله**. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة: الأولى، 1417 هـ ج 7 ص 299205.

[53] الخطيب البغدادي **تاريخ بغداد** ج 12 ص 42

[54] الخطيب البغدادي **تاريخ بغداد** ج 12 ص 43

[55] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5 ص 261.

[56] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 261.

[57] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 12.

استوطن بغداد، ودرس، فيها وأفتى، وأفاد، وتولى قضاء ربع الكرخ[58] بعد القاضي الصيمري.[59]

قال فيه الخطيب: "كان شيخنا أبو الطيب ورعا عاقلا عارفا بالأصول والفروع محققا حسن الخلق صحيح المذهب اختلفت إليه وعلقت عنه الفقه سنين".[60]

توفي يوم السبت من ربيع الأول سنة خمسين وأربعمائة، وصلى عليه أبو الحسين ابن المهتدي بجامع المنصور، ودفن بمقبرة باب حرب، وقد بلغ من السن مائة وسنتين، وكان صحيح العقل، ثابت الفهم، سليم الأعضاء، يفتي ويقضي إلى حين وفاته.[61]

5. **القطان: محمد بن الحسين بن محمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم، أبو الحسين الأزرق القطان.**

كان عالما جليلا من علماء بغداد، كتب عنه الخطيب البغدادي، وسئل عن مولده، فقال: ولدت في شوال من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة للهجرة. توفي في شهر رمضان سنة خمس عشرة وأربع مائة، عن ثمانين سنة.[62]

6. **البرمكي: هو الشيخ الإمام المفتي، بقية المسندين، أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم البرمكي، ثم البغدادي، الحنبلي**. ولد ليلة الاثنين التاسع والعشرين من شهر رمضان، سنة إحدى وستين وثلاثمائة للهجرة.

سبب تسميته بالبرمكي:

- قيل أن سلفه قديما كانوا يسكنون في مكان ببغداد يعرف بالبرامكة.

---

[58] مدينة في بغداد. ابن الجوزي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) **كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992، م ج 16، ص 308.

[59] الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله القاضي الصيمري. ولد سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة للهجرة. سكن بغداد وكان أحد الفقهاء المذكورين من العراقيين، حسن العبارة، جيد النظر، ولى قضاء المدائن في أول أمره، ثم ولي بأخرة القضاء بربع الكرخ، ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته. توفي ليلة الأحد ودفن في داره بدرب الزرادين من الغد، وهو يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال سنة ست وثلاثين وأربعمائة. السبكي، **طبقات الشافعية**، ج 5، ص 15.

[60] الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 9، ص 366.

[61] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 281. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج 9، ص365. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 16، ص 40.

[62] ابن الجوزي، **المنتظم**، ج15، ص 169. ابن العماد: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (المتوفى: 1089هـ) **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م ج 5، ص 79.

- وقيل بل كانوا يسكنون قرية تعرف بالبرمكية، وهي قرية بقرب باب البصرة فنسبوا إليها.

كان صدوقا دينا، فقيها على مذهب أحمد، وكان له حلقة كذلك للفتوى، مات يوم التروية، من ذي الحجة سنة خمس وأربعين وأربع مائة للهجرة.[63]

وهؤلاء بعض أعلامه وشيوخه الأجلاء كما جاء في ترجمته في كتابه الشامل رغم عدم ذكرهم بشكل واضح في كتب التراجم والطبقات. رحمهم الله تعالى، وأسكنهم فسيح جناته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين.

**الفرع الثاني: تلاميـذه.**

بعد ذكر بعض من الشيوخ الأجلاء الذين تتلمذ على أيديهم الفقيه ابن الصباغ. لا بد من نذكر بعضا من طلابه المشهورين ومنهم:

1) **ولده ابن الصباغ: هو العالم، المسند، العدل، أبو القاسم، علي بن عبد السيد ابن الشيخ أبي طاهر بن الصباغ الشاهد.**

كان عالما، فقيها، صالحا، حسن الطريقة، مخلصا، عالي الهمة. روى عنه: ابن عساكر[64]، والسمعاني[65]، وغيرهم كثير من الأعلام الكبار. قال فيه السمعاني: "شيخ ثقة، صالح، حسن السيرة، مات في جمادى الأولى، سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة وله إحدى وثمانون سنة, رحمه الله".[66]

---

[63] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 240. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 15، ص 341.

[64] علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الملقب بثقة الدين، والمعروف بابن عساكر، الإمام الحافظ المؤرّخ الكبير، صاحب «تاريخ مدينة دمشق» وغير ذلك من المصنفات الكثيرة. ولد في دمشق سنة (499) هـ، وبيت ابن عساكر من البيوت الدمشقية المشهورة بالعلم والفضل، وقد اشتهر أبناؤه بالتقوى والتصدّي لنفع الناس في دينهم. توفي في الحادي عشر من شهر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمئة، وله من العمر ثنتان وسبعون سنة. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 1 ص 43.

[65] أبو المظفر: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، السمعاني من أهل مرو، تفقه على أبيه أبي منصور على مذهب أبي حنيفة حتى برع في الفقه وبرز على أقرانه من الشبان، ثم ورد بغداد في سنة إحدى وستين، وسمع الحديث الكثير بها، واجتمع بأبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي ثم تحول عنها بعد ذلك. توفي رحمه الله في ربيع الأول من هذه السنة، ودفن في مقبرة مرو. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 17، ص37.

[66] الذهبي **سير أعلام النبلاء** ج 14 ص 16

2) **شيخ الشافعية أبو علي الفارقي: الحسن بن إبراهيم بن علي بن برهون**. كان من أهل مَيّافارِقِين[67]، ولد بها في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، ثم تفقه بها على أبي عبد الله الكازروني[68]، فلما توفي الكازروني قصد أبا إسحاق الشيرازي في سنة ست وخمسين، فتفقه عليه، [69]

لازم ابن الصباغ وحفظ كتابه الشامل. قال فيه ابن السمعاني وكان يكرر عليهما دائما (المهذب، والشامل) ويقرأ من الماضي في كل ليلة ربع أحد الكتابين. [70]

كان ورعا زاهدا صاحب حقّ، مجوّدا لحفظ الكتابين، يكرر عليهما. ولي قضاء واسط مدّة. و توفي بها في يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من المحرم سنة ثمان وعشرين وخمسمائة. عن خمس وتسعين سنة رحمه الله تعالى رحمة واسعة. [71]

3) **الحريري: هو العلامة البارع، أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الحرامي الحريري، صاحب "المقامات".**

كان في حياته يسكن محلة بني حرام بالبصرة، ولد في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة. فسمع الحديث، وقرأ الأدب واللغة، وفاق أهل زمانه بالذكاء المفرط، والفطنة والفصاحة وحسن العبارة، وأنشأ المقامات التي من تأملها عرف قدر منشئها. سارت بفصاحتها الركبان، وكاد يربو فيها على سحبان. [72]

قدم إلى بغداد، وقرأ فيها عند العلماء الأجلاء، وتفقه على ابن الصباغ، وأبي إسحاق الشيرازي، قرأ كذلك الفرائض فيها، فكان حقا فريد عصره. قال السبكي. "إن مفتتح الإحسان في شعره كما أن مختتم الإبداع بنثره وإن مسير الحسن تحت لواء كلامه كما أن مخيم السحر عند أقلامه لما زلقت من شاهق الإنصاف إلى حضيض الاعتساف". [73]

كان من البلاغة والفصاحة والبيان بالمحل الرفيع الذي تشهد به مقاماته، التي لا نظير لها رشيق النظم والنثر، حلو الألفاظ عذب العبارة، إمام مقدم في الأدب وفنونه. فريد عصره، وحيد زمانه.[74]

---

[67] بفتح أوله، وتشديد ثانيه ثم فاء، وبعد الألف راء، وقاف مكسورة، وياء، ونون: من بلاد الروم وكانت أشهر مدينة بديار بكر، قالوا: سميت بميّا بنت لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف وقيل غير ذلك. الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ) **معجم البلدان** الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، 1995 م ج 5 ص 235

[68] الإمام الأوحد شيخ الشافعية أبو عبد الله؛ محمد بن بيان بن محمد الكازروني المقرئ فقيه أهل آمد. كان عالما جليلا يرتحل إليه لعلمه وفقهه. ارتحل إليه الفقيه نصر المقدسي وتفقه عليه. توفي سنة خمس وخمسين وأربع مائة. **الذهبي سير أعلام النبلاء** ج 13 ص 367

[69] ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 17، ص285.

[70] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 7، ص 57.

[71] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 2، ص 77. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 17، ص285. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 7، ص 57.

[72] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص338.

[73] السبكي، **الطبقات الشافعية الكبرى**، ج 6، ص 266.

[74] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 237. **السبكي، طبقات الكبرى**، ج 6، ص 266.

توفي عليه رحمة الله يوم الاثنين ثامن رجب سنة ست عشرة وخمسمائة.[75]

**4) الخطيب البغدادي: هو أبو بكر؛ أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. الإمام الأوحد العلامة المفتي الحافظ الناقد محدث الوقت، صاحب التصانيف، وخاتمة الحفاظ.**

ولد الخطيب البغدادي سنة اثنتين وتسعين وثلاث مائة، وكان أبوه أبو الحسن خطيبا بقريته، وممن يكثرون تلاوة القرآن، وسماعه من المقرئين والعلماء، فحض ولده أحمد على السماع والفقه فسمع: وهو ابن إحدى عشرة سنة وارتحل إلى البصرة وهو ابن عشرين سنة وإلى نيسابور وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وإلى الشام وهو كهل وإلى مكة وغير ذلك. وكتب الكثير وتقدم في هذا الشأن، وفاق الأقران، وجمع، وصنف، وصحح، وعلل، وجرح، وعدل، وأرخ، وأوضح، وصار أحفظ أهل عصره على الإطلاق.[76]

تعلم الخطيب البغدادي من عدد كبير من علماء عصره الذي يقارب المائة. عند الجمع والتحقيق، وكان من بين هؤلاء العلماء الأجلاء أبو إسحاق الشيرازي، والفقيه الشافعي أبو نصر ابن الصباغ. لقد تعلم منه التاريخ رغم أن الخطيب أكبر منه سنا.[77]

ومن ذكائه وثباته وقت طلبه، وجمعه العلوم يروى أن الخطيب يوما حضر درس الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، فروى أبو إسحاق حديثا من رواية بحر بن كنيز السقاء ثم قال للخطيب: ما تقول فيه؟ فقال: إن أذنت لي ذكرت حاله. فانحرف أبو إسحاق وقعد كالتلميذ وشرع الخطيب يقول وشرح أحواله شرحا حسنا فأثنى الشيخ عليه وقال: هذا دارقطني عصرنا.[78]

قال فيه ابن ماكولا: كان أبو بكر آخر الاعيان، ممن شاهدناه معرفة، وحفظا، وإتقانا، وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفننا في علله وأسانيده، وعلما بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره ومطروحه، ولم يكن للبغداديين - بعد أبي الحسن الدارقطني -مثله.[79]

له مصنفات كثيرة جدا فوق الخمسين في التاريخ والفقه، والأصول، والأنساب، والملل، وغيرها من الفنون الكثيرة، وقيل في مصنفاته:

---

[75] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 6، ص 266. / الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص338. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 237. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 17، ص 214.

[76] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 419.

[77] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 4، ص 31.

[78] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 424.

[79] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 4، ص 31.

تصانيف ابن ثابت الخطيب ... ألذ من الصبا الغض الرطيب

يراها إذ رواها من حواها .....رياضا للفتى اليقظ اللبيب

ويأخذ حسن ما قد صاغ منها ... بقلب الحافظ الفطن الأريب

فأية راحة ونعيم عيش ..... يوازي كتبها بل أي طيب[80]

توفي الخطيب عليه رحمة الله في السابع من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربع مائة.[81]

**5) الفقيه البجلي: أحمد بن سلامة بن عبيد الله بن مخلد بن إبراهيم البجلي الكرخي أبو العباس ابن الرطبي.**

ولد في أواخر سنة ستين وأربعمائة كان أحد الأئمة الراسخين في وقته، ومن يضرب به المثل في الخلاف والنظر. تفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ. ثم خرج إلى أصبهان، وولي القضاء بالحريم الظاهري ببغداد والحسبة، وكان يؤدب الراشد بالله أمير المؤمنين وكثيرا من أولاد الخلفاء. توفي في رجب سنة سبع وعشرين وخمسمائة[82]

**6) أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد القاضي أبو منصوربن الصباغ البغدادي. ابن أخي الإمام أبي نصر ابن الصباغ.**

قال ابن السمعاني: تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري[83] وسمع منه الحديث ومن غيره وكتب عنه القاضي أبو بكر ابن العربي المالكي وقال كان ثقة فقيها حافظا ذاكرا وقال الذهبي "ناب في القضاء وولي الحسبة وله مصنفات".

توفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة رحمه الله تعالى.[84]

**7) ابن العمورة: عبد الرحمن بن خيربن محمد بن حريز أبو القاسم الرعيني المعلم الأشعري المعروف بابن العمورة.**

من أهل القيروان دخل بغداد وتفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر بن الصباغ، وسمع الحديث من بعض محدثيها.

---

[80] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 13، ص 428. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 4 ص 33.

[81] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 1 ص 40 / ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 1، ص 92.

[82] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 6، ص 18.

[83] تقدمت ترجمته في صفحة 25

[84] ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: 851هـ) **طبقات الشافعية**، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى، 1407 هـ، ج 1، ص 225.

توفي في شهر رمضان سنة سبع عشرة وخمسمائة.[85]

**8) الفقيه التّيمي: إسماعيل بن محمد بن الفضل، أبو القاسم التّيمي الطّلحي الأصبهاني الشافعي.**

كان حافظا كبيرا، قوام السّنّة، في وقته. ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة.

كان التيمي قدوة أهل السّنّة في زمانه، قال ابن السمعاني: "هو أستاذي في الحديث، وعنه أخذت هذا القدر. وهو إمام في التفسير، والحديث، واللغة، والأدب، عارف بالمتون والأسانيد، أملى بجامع أصبهان قريبا من ثلاثة آلاف مجلس" .[86]

ومن مؤلفاته «التفسير» في ثلاثين مجلد كبير، وسماه «الجامع» وله «الإيضاح» في التفسير أربع مجلدات، و «الموضح» في التفسير ثلاث مجلدات، وله «المعتمد» في التفسير عشر مجلدات، توفي يوم النحر، سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، واجتمع في جنازته جمع لم ير مثلهم كثرة، رحمه الله تعالى.[87]

9) **السمرقندي: الشيخ الإمام المحدث، أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث، السمرقندي، الدمشقي المولد، البغدادي الوطن، صاحب المجالس الكثيرة**

ولد بدمشق في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مائة، وسمع بها من الخطيب البغدادي ثم رحل إلى بغداد، فتلقى من عبد السيد بن محمد الصباغ، وأبي إسحاق الشيرازي، وغيرهم كثير من علماء بغداد. [88]

حدث عنه: ابن الجوزي، وابن عساكر، والسمعاني: وقال فيه السمعاني: "كان فاضلا غزير الفضل حسن المعرفة بالمذهب، جميل السيرة، مرضي الطريقة، كثير العبادة، ملازما للذكر، قانعا باليسير، خشن العيش، راغبا في نشر العلم، ملازما للسنّة غير ملتفت إلى الأمراء وأبناء الدنيا"[89].

توفي عليه رحمة الله في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة ست وثلاثين وخمس مائة.[90]

10) **المستظهري الشاشي: أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشي الأصل الفارقي المولد، المعروف بالمستظهري، الملقب فخر الإسلام.**

---

[85] ا السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 7، ص 148.

[86] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 471. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 6، ص 174.

[87] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 469.

[88] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 141.

[89] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص 184. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 441.

[90] ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 18، ص20. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 7، ص 46. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 140. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص 184.

كان فقيها شافعيا، وكان فقيه وقته. ولد عليه رحمة الله في المحرم، سنة تسع وعشرين وأربعمائة. تفقه في مدينته، ثم رحل إلى بغداد، فلازم الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وقرأ كذلك كتاب الشامل في الفقه على مصنفه أبي نصر ابن الصباغ، رحمه الله تعالى. ثم تولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد، سنة أربع وخمسمائة إلى حين وفاته. توفي يوم السبت خامس عشرة من شوال سنة سبع وخمسمائة ببغداد، ودفن في مقبرة باب أبرز.[91]

**11) الشيخ الغازي: الحافظ المتقن، أبو نصر، أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد، الأصبهاني الغازي.**

ولد في حدود سنة ثمان وأربعين وأربع مائة. جال وطوف، وجمع فأوعى. حدث عنه: ابن عساكر، والسمعاني قال فيه السمعاني: "ثقة حافظ، دين، واسع الرواية، كتب الكثير، وحصل الكتب، ما رأيت في شيوخي أكثر رحلة منه، أكثرت عنه. مات في ثالث رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة"[92]

**12) محمد بن علي بن عبد الواحد بن جعفر أبو غالب بن الصباغ. ابن عم الشيخ.**

تتلمذ على يد الإمام أبي نصر بن الصباغ ومات في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. [93]

**13) الإمام الدلفي: الحسين بن محمد بن الحسن بن إبراهيم أبو علي الدلفي المقدسي البغدادي.**

تفقه على يد ابن الصباغ قال أحد علماء بغداد لم ألق ببغداد أصلح منه ولا أزهد. توفي رحمه الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة[94]

هؤلاء الأعلام الجهابذة قطرة من بحر قائمة طلاب العلامة ابن الصباغ، لأن من قرأ سيرة الفقيه ابن الصباغ، وعرف فضله ومكانته من بين علماء بغداد، عرف حتما صعوبة ذكر قائمة تضم أسماء جميع تلاميذه. لأنه كان من نوادر عصره، يضرب إليه أكباد الإبل من كافة بلدان المسلمين.

ويكفي الفقيه البغدادي ابن الصباغ. شرفاً وفضلا أن يتتلمذ على يديه بعض الأعلام الكبار الذين يصعب وجود أمثالهم في العصور والأمصار مثل الخطيب البغدادي، وأبو الوفاء ابن عقيل رحمهم الله تعالى جميعا رحمة واسعة، وأسكنهم في الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين. إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

**المبحث الخامس: مكانته العلمية، وأهم مؤلفاته.**

---

[91] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 4، ص 221.

[92] الذهبي **سير أعلام النبلاء** ج 14 ص 430

[93] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. ج 4 ص 192

[94] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**. ج 4 ص 336

خصص الباحث هذا المبحث للحديث عن مكانة العلامة ابن الصباغ في المجتمع الذي عاش فيه، ولدى أهل العلم، من العلماء الذين تتبعوا المذاهب الأربعة، وعرفوا علماء المذاهب، ودروا كذلك مدى قدرات العلماء عن طريق اطلاعهم على الكتب التي يؤلفها علماء المذاهب وعن طريق شهادة معاصريهم. وذلك في الفروع التالية.

**الفرع الأول: مكانة ابن الصباغ العلمية.**

إن الناظر إلى التاريخ الإسلامي، وسير أعلام المسلمين عموما، وعلماء بغداد، وفقهاء الشافعية خصوصا، يدرك حتما الحصيلة العلمية، والمكانة المعرفية، والخبرة الفقهية، التي كانت يتميز بها هذا العلامة (ابن الصباغ). لما كان يتمتع به من ذكاء حاد. وكونه ثمرة شجرة أصولها علم وفقه في بغداد. [95]

وخير دليل على مكانة الفقيه ابن الصباغ العلمية، يكمن في الشخصيات العلمية المشهورة الموسومة بالعلم، والثقافة، والأدب، الذين تتلمذ على أيديهم هذا العالم الجليل في حياته وتلقى عنهم مختلف العلوم والفنون. كشاذان، وقطان، وأبو الطيب الطبري والإمام التقي القزويني، وغيرهم من الأعلام الكبار، الذين قل نظيرهم في الأمم والتاريخ، لما أخرجوا من الأعلام الفضلاء للأجيال رحمهم الله تعالى. [96]

وكما لا شك فيه أن الكم الهائل من الطلاب النجباء، والتلاميذ العجباء الراسخين في العلم، المفيدين الدين والبشرية، الذين تخرجوا من مجلسه، وتربوا بين يديه، لخير شاهد على مكانته العلمية المرموقة ورتبته الفقهية الهائلة. ويكفي الخطيب البغدادي دليلا على ذلك وغيره.

وأما مؤلفاته فحدث عنها ولا حرج، فقد اشتهر العلامة ابن الصباغ في حياته بالتأليف، وبرز في التصنيف، ولقيت مؤلفاته لدى العلماء والفقهاء قبولا فائقا، لما كانت تتوسم به من محتويات علمية رصينة مبدعة. ويكفي كتابه الشامل دليلا على ذلك. كما سيأتي تفصيل ذلك في مؤلفاته.

كان للعلامة ابن الصباغ مكانة علمية كبيرة جدا في مجتمعه، ولدى العلماء، والدارسين في مختلف فنون الشريعة الإسلامية. ساعده على ذلك اتساع علمه وتنوع معرفته، ومثابرته ثم جِدّه في طلب العلم، وصبره على مشاق طلب العلم، وملازمة العلماء. فعظمت شخصيته العلمية بين الناس، وبلغ مكانة علمية مرموقة عند أهل العلم، جعلته من كبار أعيان الشافعية في عصره. [97]

[95] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص15.

[96] ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 32. من كلام المحقق.

[97] ابن الصباغ، **كتاب الشامل**، ج 1، ص 29. من كلام المحقق.

فقد كان نظيراً لأبي إسحاق الشيرازي[98] ويضاهيه، بل إن من علماء الشافعية من قدموه على أبي إسحاق الشيرازي، في معرفة المذهب، ونقله، قال أبو الفداء ابن كثير: " كان أدرى بالمذهب من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمهما الله" [99] وانتهت ببغداد رئاسة أصحاب الشافعية إليه، فصار من أكابر أصحاب الوجوه، ومن محرري المذهب ومحققيه، حتى قيل له: قاضي المذهب.[100]

ولمكانته العلمية تولى التدريس بالمدارس النظامية ببغداد من أول ما فتحت، قبل أبي إسحاق الشيرازي. وقصة ذلك: أنه في يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة تسع وخمسين: جمع الناس على طبقاتهم إلى المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك ببغداد للشافعية، وجعلها برسم أبي إسحاق الشيرازي بعد أن وافقه على ذلك، فلما كان يوم اجتماع الناس فيها وتوقعوا مجيء أبي إسحاق فلم يحضر، فطلب فلم يظهر، وكان السبب أن شابا لقيه فقال: يا سيدنا، تريد تدرس في المدرسة؟ فقال: نعم، فقال: كيف وهو مكان مغصوب؟ فغير نيته فلم يحضر.

فوقع العدول إلى أبي نصر بن الصباغ فجعل مكانه، ثم ظهر أبو إسحاق في مسجد، فدرس على عادته، فتألم أصحابه، وفتروا عن مجلسه، وراسلوه بأنه إن لم يدرس بالنظامية لازموا ابن الصباغ، وتركوه فأجابهم، وصرف ابن الصباغ. وكانت ولايته لها عشرين يوماً. [101]

وهذا مما يدل على مكانة الفقيه الشافعي البغدادي العلمية، ورتبته المعرفية والفقهية في عصره رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى.

**الفرع الثاني: أهم مؤلفات ابن الصباغ.**

كان ابن الصباغ من العلماء الذين تركوا بصمات علمية نافعة ينتفع بها العلماء والطلاب والأمة الإسلامية عموما، والشافعية منها خصوصا إلى قيام الساعة. لمكانته العلمية المرموقة، ولحسن مؤلفاته وجودتها.

---

[98] الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز آبادي، شيخ الشافعية، ومدرس النظامية ببغداد، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة، وتفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة، فتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وسمع الحديث من ابن شاذان، وكان زاهدا عابدا ورعا، كبير القدر معظما محترما إماما في الفقه والأصول والحديث، وفنون كثيرة، وله المصنفات الكثيرة النافعة، كالمهذب، والنكت، واللمع في أصول الفقه، والتبصرة، وطبقات الشافعية وغير ذلك. توفي ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربعمائة. رحمه الله تعالى. ابن كثير **البداية والنهاية**. ج 12 ص 153

[99] ابن كثير: **طبقات الشافعيين** ج 1 ص 464

[100] الذهبي **سير أعلام النبلاء** ج 14 ص14. ابن كثير: طبقات الشافعيين ج 1 ص 464/ ابن كثير **البداية والنهاية** ج 12 ص 155. ابن قاضي شهبة طبقات الشافعية. ج 1 ص 251

[101] ابن الجوزي **المنتظم** ج 16 ص 101. ابن كثير **البداية والنهاية** ج 12 ص 155

حيث كان من العلماء الذين ألفوا وأحسنوا التأليف.، ودونوا فأحسنوا التدوين، فأتى بعلم ناضج، وفقه ثابت. من فكر ثاقب، ووعي راسخ. ومن المؤلفات التي نسبها علماء التأريخ الإسلامي إلى العلامة ابن الصباغ في كتب التراجم والطبقات ما يأتي:

1. الشامل شرح مختصر المزني في الفقه. وهذا الكتاب هو أشهر كتبه على الإطلاق، وهو من المصادر المعتمدة في الفقه الشافعي. الذي قال فيه ابن خلكان: في ترجمته رحمه الله تعالى: " ومن مصنفاته كتاب " الشامل " في الفقه، وهو من أجود كتب أصحابنا، وأصحها نقلا وأثبتها أدلة"[102]. وقال فيه ابن قاضي شهبة "ومن تصانيفه الشامل وهو الكتاب الجليل المعروف"[103]
2. العمدة في أصول الفقه [104]
3. تذكرة العالم. وهو كتاب في أصول الفقه.[105]
4. الطريق السالم، أو الطريق السالم إلى الله، الطَّرِيق السَّالِم فِي الحَدِيث والتصوف.[106]

قال فيه ابن قاضي شهبة: "وكتاب الطريق السالم وهو مجلد قريب من حجم التنبيه يشتمل على مسائل وأحاديث وبعض تصوف ورقائق".[107]

5. العدة في أصول الفقه[108]
6. عدة العالم والطريق السالم في اصول الفقه.[109]

---

[102] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 217.

[103] ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 251.

[104] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص 332. ابن كثير، طبقات الشافعيين، ج 1، ص 465. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 217. ابن قاضي، شهبة طبقات الشافعية، ج 1 ص 251.

[105] الذهبي، **سير أعلام النيلاء**، ج 14، ص14. الحاج خليفة: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: 1067هـ) **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد، (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية) تاريخ النشر: 1941م ج 1، ص 389. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 16، ص 235.

[106] البابانى البغدادي : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي (المتوفى: 1399هـ) **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول 1951، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ج 1، ص 573. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252. ابن الجوزي، **المنتظم**، ج 16، ص 235.

[107] ابن قاضي، **شهبة طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252.

[108] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 217.

[109] البابانى البغدادي. **هدية العارفين**، ج1، ص 573. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج5، ص 122.

7. كفاية السائل.[110] أو كفاية المسائل[111]

8. كتاب المسائل.[112]

9. فتاوى ابن الصباغ.[113]

وهذا الكتاب قام بجمعه ابن أخيه القاضي أبو منصور أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد.

وقد نقل منه السبكي. قال " وفي فتاوي ابن الصباغ يستحب الوضوء لمن قص شاربه"[114]

10. الكامل في الخلاف بين الشافعية والحنفية.[115]

وهو من أنفع كتبه الذي قال فيه ابن القاضي شهبة: " وكتاب الكامل في الخلاف بيننا وبين الحنفية وهو قريب من حجم الشامل". [116]

11. الاشعار بمعرفة اختلاف علماء الامصار.

وهذا الكتاب مختلف في كون نسبته إلى مؤلفه. حيث إن من العلماء من يجعله في قائمة كتب الفقيه ابن الصباغ كالبغدادي، وحاجي الخليفة[117]

كما أن من العلماء من يجعلونه من كتب ابن أخيه أبي المنصور، ومن هؤلاء العلماء ابن صلاح حيث يقول" قرأت بخط القاضي أبي منصور أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد ابن الصباغ في كتابه: كتاب " الإشعار، بمعرفة اختلاف علماء الأمصار " وهذا هو الصحيح.[118]

---

[110] البابانى، **هدية العارفين**، ج 1، ص 573.

[111] كحالة: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني الدمشقي (المتوفى: 1408هـ) **معجم المؤلفين**، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج 5، ص 233. البابانى، **هدية العارفين**، ج 1، ص 573.

[112] البابانى، هدية العارفين، ج 1، ص 573.

[113] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص127. حاجي الخليفة، **كشف الظنون**، ج 2، ص 1218.

[114] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 128.

[115] كحالة، **معجم المؤلفين**، ج 5، ص 233. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص332. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252.

[116] ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252.

[117] البابانى، **هدية العارفين**، ج 1، ص 573. حاجي الخليفة، **كشف الظنون**، ج 1،ص 81.

[118] ابن الصلاح: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ) **طبقات الفقهاء الشافعية**، المحقق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة الأولى، 1992م ج 1، ص 178.

3/30/2025

**المبحث السادس: وفاة ابن الصباغ، وثناء العلماء عليه.**

في هذا المبحث سيكون حديث الباحث عن وفاة العلامة ابن الصباغ، مع ثناء بعض العلام عليه في حياته، وبعد موته. وذلكم فيما يأتي من المطالب.

**الفرع الأول: وفاة الفقيه ابن الصباغ.** فقد ابن الصباغ بصره في آخر حياته (عمي ) بعد قضاء سنة من تدريسه في المدرسة النظامية ببغداد. بعد المتولي[119]، وتوفي في بكرة الثلاثاء، ثالث عشر من جمادى الأولى لعام سبعة وسبعين وأربعمائة، عن سبع وسبعين سنة من عمره. [120]

ودفن في الغد بداره بدرب السلولي من الكرخ في بغداد، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب المشهورة.[121]

وقيل أيضا: توفي في يوم الخميس في منتصف شعبان من السنة السابعة وسبعين وأربعمائة. [122]

والراجح هو الأول: لتوافق أغلب المصادر عليه. من كتب التراجم والطبقات.

**الفرع الثاني: ثناء العلماء عليه.**

في هذا الفرع. سيكون الحديث عن ثناء العلماء الأجلاء عليه، ومن هؤلاء العلماء.

السبكي: "كان إماما مقدما وفارسا لا يدرك السوق وراءه قدما وحبرا، يتعالى قدره على السماء، وبحرا لا ينزف بكثرة الدلاء تصبب فقها، فكأنه لم يطعم سواه ولم يكن غيره بلغه وتشخص فقيها، فإذا رآه المحقق قال ابن الصباغ صبغ من الصفر كذا ومن أحسن من الله صبغة، انتهت إليه رياسة الأصحاب، وكان ورعا نزها تقيا نقيا صالحا زاهدا فقيها أصوليا محققا."[123]

---

[119] المتولي: عبد الرحمن بن مأمون بن علي، أبو سعد المتولي. ولد سنة ست وعشرين وأربعمائة، وسمع الحديث، وقرأ الفقه على جماعة، كان جامعا بين العلم والدين وحسن السيرة وتحقيق المناظرة، له يد قوية في الأصول والفقه والخلاف، تولى التدريس بالمدرسة النظامية بمدينة بغداد بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، رحمه الله تعالى، ثم عزل عنها في بقية سنة ست وسبعين وأربعمائة وأعيد أبو النصر ابن الصباغ صاحب " الشامل "، ثم عزل ابن الصباغ في سنة سبع وسبعين وأعيد أبو سعد المذكور واستمر علها إلى يوم وفاته. ليلة الجمعة ثامن عشر شوال من هذه السنة، وصلى عليه أبو بكر الشامي، ودفن بمقبرة باب أبرز. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 133. ابن الجوزي، **كتاب المنتظم**، ج 16، ص 244.

[120] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 12، ص 155. ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص 332، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 218. الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 14. ابن كثير، **طبقات الشافعيين**، ج 1، ص 465. ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252.

[121] الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 14، ص 14.ابن الصباغ، **الشامل**، ج 1، ص 56. وهذا من كلام المحقق.

[122] ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 252. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 218.

[123] السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج 5، ص 112.

وقال فيه العلامة المفسر ابن كثير: هو "قاضي المذهب، وفقيه العراق، كان من أكابر أصحاب الوجوه، وصنف الشامل وغيره، وكان قد أخذ عن الشيخ أبي الطيب الطبري، وكان أدرى بالمذهب من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رحمهما الله."[124]

وقال أيضا ابن العماد الحنبلي: "أحد الأئمة، ومؤلّف «الشامل» كان نظير الشيخ أبي إسحاق، ومنهم من يقدّمه على أبي إسحاق في نقل المذهب، وكان ثبتا، حجّة، ديّنا، خيّرا، ولي النظامية بعد أبي إسحاق".[125]

وقال ابن خلكان: " هو الفقيه الشافعي؛ كان فقيه العراقيين في وقته، وكان يضاهي الشيخ أبا إسحاق الشيرازي، وتقدم عليه في معرفة المذهب. وكانت الرحلة إليه من البلاد، وكان تقيا حجة صالحا، ومن مصنفاته كتاب " الشامل " في الفقه، وهو من أجود كتب أصحابنا، وأصحها نقلا وأثبتها أدلة".[126]

وقال فيه ابن قاضي ابن شهبة: "فقيه العراق. رجح في المذهب على الشيخ أبي إسحاق، وكان خيرا دينا، درس بالنظامية أول ما فتحت، وكان ورعا نزها ثبتا صالحا زاهدا فقيها أصوليا محققا قال ابن عقيل كملت له شرائط الاجتهاد المطلق"[127]

كما قال فيه الخطيب البغدادي: "كان إماما فاضلا نبيلا، انتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعي ببغداد. وقال إنه أعرف بالمذهب من أبي إسحاق الشيرازي".[128]هذا بعض ثناء العلماء عليه رحمهم الله تعالى.

**خلاصة ترجمة الإمام ابن الصباغ**

يُعد الإمام أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد البغدادي، المشهور بابن الصباغ (400 - 477 هـ)، علماً من أعلام الفقه الشافعي، وشيخ الشافعية في عصره ببغداد. عُرف بألقاب عديدة أبرزها "صاحب الشامل" نسبةً لكتابه الفقهي الموسوعي، و"فقيه العراق" لما عُرف به من تبحر في علوم الشريعة، و"ابن الصباغ" نسبةً إلى مهنة أحد أجداده. نشأ الإمام ابن الصباغ في بيئة علمية خصبة في بغداد، التي كانت تعج بالعلماء والحركات الفكرية، وتلقى علومه الأولى في كنف والده الفقيه، ثم نهل من معين كبار علماء عصره مثل أبي الطيب الطبري وغيره. وقد مرّت حياته العلمية بمراحل متعددة، بدءاً من التعلم الأسري، ثم التتلمذ على يد شيوخ بغداد، وصولاً إلى تصدره للتدريس والإفتاء، وتخريج جيل من العلماء البارزين كالخطيب البغدادي والحسن الفارقي. عاصر ابن الصباغ فترة سياسية مضطربة، تميزت بالصراعات الداخلية في الدولة العباسية، ونفوذ السلاجقة، والنزاعات المذهبية. ورغم هذه التحديات، شهد عصره ازدهاراً علمياً لافتاً، خاصة تحت رعاية السلاجقة الذين اهتموا بالعلم والعلماء، مما أسهم في نبوغ ابن الصباغ وتكوينه العلمي المتين. كانت للإمام ابن الصباغ

---

[124] ابن كثير، **طبقات الشافعيين**، ج 1، ص 464.

[125] ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج 5، ص 332.

[126] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج 3، ص 218.

[127] ابن قاضي شهبة، **طبقات الشافعية**، ج 1، ص 251.

[128] الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. ج 21 ص 122

مكانة علمية مرموقة، حيث اعتبره البعض أدرى بالمذهب الشافعي من معاصره البارز الشيخ أبي إسحاق الشيرازي. وتولى التدريس بالمدرسة النظامية لفترة. وخلّف تراثاً علمياً قيماً، من أبرز مؤلفاته كتاب "الشامل في فروع الشافعية"، وكتاب "الكامل في الخلاف بين الشافعية والحنفية"، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في أصول الفقه والحديث. توفي الإمام ابن الصباغ رحمه الله سنة 477 هـ، بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء، وقد أثنى عليه كبار العلماء، مشيدين بإمامته وفقهه وورعه، ومكانته كأحد أبرز محرري المذهب الشافعي ومحققيه في القرن الخامس الهجري